الفصل الثاني

نصوص صوتية تراثية

الفصل الثاني
نصوص صوتية تراثية

وهذه نصوص صوتية تراثية مهمَّة اخترتها لأشهر اللغويين: الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، وتلميذه سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، والعبقري الفذّ الأعور ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، والأخير هو فيلسوف العلماء وعالم الفلاسفة ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ).

مقدِّمة معجم العين للخليل بن أحمد

جاء في المقدِّمة: هذا ما ألّفه الخليل بن أحمد البصريّ (ت ١٧٥ هـ) من حروف: ا، ب، ت، ث، مع ما تكلمت به العرب فكان مدار كلامهم وألفاظهم. فلا يخرج منها عنه شيء. أراد أن تَعرف به العرب أشعارها وأمثالها ومخاطباتها فلا يشِذُّ عنه شيْء من ذلك. فأَعْمَلَ فكْره فيه فلَم يُمْكِنْه أنْ يَبتَدئَ التأليفُ من أول ا، ب، ت، ث، وهو الأَلف، لأَنّ الأَلف حرف معتلّ فلمّا فاته الحرفُ الأوّل كَرِهَ أن يبتدِئَ بالثاني – وهو الباء – إِلَّا بعد حُجَّةٍ واستقصاء النَّظَر، فدبَّر ونظر إلى الحروف كلِّها وذاقَها فوجد مخرج الكلام كلّه من الحلق.

وإنَّما كان ذَواقُه إيّاها أنه كان يَفْتَحُ فاهُ بالهمزة ثمّ يظهِرُ الحَرْفَ، نحو أبْ، أتْ، أحْ. أعْ، أغْ، فَوجَدَ العَيْنَ أَدخَلَ الحروف في الحَلْقِ، فَجَعَلَها أوَّلَ الكتابِ ثمّ ما قَرُبَ منها الأَرفعُ فالأَرفع حتّى أَتى على آخرها وهو الميم.

فإذا سُئِلْتَ عن كلمة وأردتَ أن تعرِفَ مَوْضِعَها، فانظُرْ إلى حُرُوفِ الكلمةِ، فمهما وَجَدتَ منها واحدًا في الكتاب المقدَّم فهو في ذلك الكتاب.

وقلَّبَ الخليل أ، ب، ت، ث، فوضعها على قدر مخرجها من الحلق،

وهذا تأليفه: ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، و ا ي، همزة.

قال الخليل: اعلم أنَّ الحروف الذُلْق والشَّفَويَّةَ ستّة وهي: ر ل ن، ف ب م، وإنَّما سُمِّيتْ هذه الحروف ذُلْقًا لأَنَّ الذلاقة في المنطق، إِنَّما هي بَطَرف أَسَلة اللِّسان والشّفتين وهما مَدْرَجتا هذه الأَحرف الستّة، منها ثلاثة ذلقة ر ل ن، تخرج من ذَلْق اللّسان من (طَرَف غار الفم) وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصّة، لا تعمَلُ الشَّفتان في شَيء من الحُرُوف الصّحاح إِلَّا في هذه الأَحرف الثلاثة فقط، ولا ينطلق اللّسانُ إِلَّا بالرّاء واللام والنُّون. وأمّا سائر الحروف فإِنّها ارتفعَتْ فوق ظهر اللّسان من لَدُنْ باطِن الثنايا من عند مَخرَج التَّاء إلى مخرج الشِّين بين الغارِ الأَعلَى وبين ظَهْر اللّسان. ليس للّسان فيهِنَّ عَمَلٌ أكثر من تحريك الطبقتين بهنَّ، ولم ينحرفْنَ عن ظهر اللّسان انحراف الرّاء واللام والنُّون. وأمّا مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عُكدة اللّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم. وأمّا مَخْرَجُ العَيْنِ والحاء و(الهاء) والخاء والغين فَالْحَلْقُ.

وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة فإِذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والأَلف عن غير طريقة الحُروفِ الصّحاح.

فلمَّا ذَلَقَتِ الحُروفُ السِّتَّةُ، ومَذَلَ بهنَّ اللِّسان وسَهُلَتْ عليه في المَنْطِقِ كَثُرَتْ في أَبنية الكلام، فليس شَيْءٌ من بِناء الخماسيِّ التَّامِّ يَعرَى منها أو من بعضها.

قال الخليل: في العربيّة تسعة وعشرونَ حَرْفًا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفًا صِحَاحًا لها أحيازٌ ومدارج، وأربعة أحرف جُوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفًا لأَنَّها تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللّسان، ولا من مدارِج الحَلق، ولا من مدرج اللّهاة، إِنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيز تُنسب إِليه إِلَّا الجَوْفَ. وكانَ يقول كثيرًا: الأَلِفُ اللّينَةُ والواو والياءُ هوائية، أي أنّها في الهواء.

قال الخليل: فأقصى الحروف كلّها العين ثمّ الحاء ولولا بَحَّة في الحاء لأَشْبَهَت العيْنَ لقُرْب مَخْرَجها من العَيْن، ثمّ الهاء ولولا هَتَّة في الهاءِ، لأَشْبَهَت الحاء لقُرْب مَخْرَج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حَيِّز واحد بعضُها أرفع من بعض، ثمّ الخاءُ والغَيْن في حيِّز واحد كلُّهُنَّ حلقية، ثمّ القاف والكاف لهَويتان، والكاف أرفع ثمّ الجيم والشِّين والضّاد في حيِّز واحد، ثمّ الصّاد والسِّين والرَّاء في حيِّز واحد، ثمّ الطّاء والدّال والتّاء في حيِّز واحد، ثمّ الظّاء والذّال والثاء في حيِّز واحد، ثمّ الرّاء واللّام والنُّون في حيّز واحد؛ ثمّ الفاءُ والباءُ والميمُ في حيِّز واحد، ثمّ الألفُ والواو والياءُ في حيِّزٍ واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيِّز تُنْسَب إليه.

فالعين والحاء والخاء والغَيْن حَلْقية، لأنّ مبدأها من الحَلْق، والقاف والكاف لَهَويَّتانِ، لأنَّ مَبْدَأهُما من اللّهَاة. والجيم والشِّين شَجْريّة لأَنَّ مَبْدَأها من شجْر الفم. أي مَفرج الفَمِ، والصّاد والسِّين والزاء أسلية، لأَنَّ مبدأها من أسلة اللّسان وهي مُستدَقّ طرف اللّسان. والطّاء والتّاء والدّال نِطْعيّة، لأَنّ مبدأها من نطع الغار الأَعلى، والظّاء والذّال والثّاء لِثَويّة، لأَنَّ مَبْدَأها من اللِّثة. والرّاءُ واللّامُ والنُّون ذَلَقيّة، لأَنَّ مَبْدَأهَا من ذَلَق اللّسان وهو تحديدُ طَرَفَي ذلق اللّسان. والفاء والباء والميم شَفَويّة، لأنّ مبدأها من الشَّفَة. والياء والواو والأَلف والهمزة هوائية في حَيِّز واحد، لأَنّها لا يتعلّق بها شيء، فنُسِبَ كل حرف إلى مَدْرَجَتِه ومَوْضِعه الذي يَبْدأ منه.

وكان الخليل يُسَمِّى الميم مُطْبَقة لأَنّها تطبِق الفم إذا نُطِقَ بها، فهذه صورة الحُرُوف التي أُلِّفَتْ منها العربيّة على الولاء، وهي تسعة وعشرون حرفًا: ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، فهذه الحروف الصّحاح، بالإضافة إلى: و ا ي ء فهذه تِسعة وعشرون حرفًا منها أبنية كلامِ العرب.

النصُّ الثاني: من كتاب سيبويه:

باب الإدغام: قال سيبويه:

هذا باب عدد الحروف العربيةِ، ومَخارجها، ومهموسِها ومجهورِها، وأحوالِ مجهورِها ومهموسِها، واختلافِها.

فأصلُ حروف العربيّة تسعة وعشرون حرفًا:

الهمزة، والألف، والهاءُ، والعَيْن، والحاءُ، والغَيْن، والخاء، والكاف والقاف، والضاد، والجِيم، والشّين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسِّين، والظاء، والذال، والثاءُ، والفاء، والباء، والميم، والواو.

وتكون خمسةً وثلاثين حرفًا بحروفٍ هنَّ فُروعٌ، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثِيرةٌ يؤخَذ بها وتُستحسن في قراءَة القرآن والأشعار، وهي:

النون الخفيفة، والهمزة التي بيْنَ بيْنَ، والألف التي تُمال إمالةً شديدة، والشِّين التي كالجِيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم، يُعنَى بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصَّلاة والزَّكاة والحَيَاة.

وتكون اثنَين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسَنةٍ ولا كثيرةٍ في لغة من تُرْتَضى عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر؛ وهي:

الكاف التي بين الجيم والكافِ، والجيمُ التي كالكاف، والجيمُ التي كالشّين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاءُ التي كالتاءِ، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء.

وهذه الحروفُ التي تممتها اثنين وأربعين جيِّدُها ورديئُها أصلها التسعة

والعشرون، لا تُتبيَّن إلَّا بالمشافَهة، إلا أنَّ (الضاد الضعيفة) تُتكلَّف من الجانب الأيمن، وإن شئتَ تكلّفتَها من الجْانب الأيسر وهو أخفُّ، لأنَّها من حافَّة اللِّسان مطبَقةٌ، لأنَّك جمعت في الضاد تكلُّف الإطباق مع إزالته عن موضعه. وإنَّما جاز هذا فيها لأنَّك تحوّلها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين. وهي أخفُّ لأنَّها من حافَّةِ اللسان، وأنَّها تُخالِط مُخْرَجَ غيرها بعد خروجها، فَتستطيلُ حين تُخالط حروف اللسان، فسهُل تحويلها إلى الأيسر لأنَّها تصير في حافَّة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن، ثم تنسلُّ من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان، كما كانت كذلك في الأيمن.

ولحروف العربية ستةَ عشرَ مُخْرَجا:

* فللحَلْق منها ثلاثةٌ. **فأقصاها** مُخْرَجًا: الهمزة والهاء والألف. ومن **أوسط** الحلق مُخْرَجُ العينِ والحاء. **وأدناها** مُخْرَجًا من الفَمِ: الغين والخاء.

* ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحَنَك الأعلى مُخْرَجُ القاف.

* ومن أسفلَ من موضع القاف من اللِّسان قليلًا ومما يليه من الحنك الأعلى مُخْرَجُ الكاف.

* ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مُخْرَجُ الجيم والشين والياء.

* ومن بين أوَّل حافَةِ اللسان وما يليها من الأضراس مُخْرَجُ الضاد.

* ومن حافَّة اللسان من أدناها إلى منتهى طَرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فُوَيْقَ الثَّنايا مُخْرَجُ النون.

* ومن مُخْرَج النون غير أنّه أدخلُ في ظهر اللسان قليلًا لانحرافه إلى اللام مُخْرَجُ الراء.

* وممَّا بين طَرف اللسان وأصول الثنايا مُخْرَجُ الطاء، والدال، والتاء.

* وممَّا بين طرف اللسان وفُوَيْقَ الثنايا مُخرَجُ الزاي، والسين، والصاد.

* وممّا بين طرَف اللسان وأطرافِ الثنايا مُخْرَجُ الظاء والذال، والثاء.

* ومن باطن الشّفةِ السُّفلَى وأطرافِ الثنايا العُلْيا مُخْرَجُ الفاء.

* وممَّا بين الشَّفتين مُخْرَجُ الباء، والميم، والواو.

* ومن الخَياشيم مُخْرَجُ النون الخفيفة.

* فأمَّا (المجهورة) فالهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراءُ، والطاء، والدَّال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو. فذلك تسعةَ عشر حرفا.

* وأما (المهموسة) فالهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاءُ، والصاد، والثاء، والفاء. فذلك عشرةُ أحرف.

* فالمجهور: حرفٌ أُشْبِعَ الاعتمادُ في موضعه، ومَنَعَ النَّفَسَ أن يجريَ معه حتَّى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. فهذه حالُ المجهورة في الحلْق والفَم، إلا أنّ النون والميم قد يُعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غُنَّةٌ. والدليل على ذلك أنّكَ لو أمسكتَ بأَنفك ثم تكلَّمت بهما لرأيت ذلك قد أخَلَّ بهما.

* وأما المهموس فحرفٌ أُضعِف الاعتماد في موضعه حتى جرى النّفَسُ معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرتَ فردَّدتَ الحرف مع جَرْيِ النفَس. ولو أردت ذلك في المجهورة لم تَقدر عليه. فإذا أردت إجراءَ الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللِّين والمدِّ، أو بما فيها منها. وإنْ شئت أخفيتَ.

* ومن الحروف (الشَّديدُ)، وهو الذي يمنع الصوتَ أن يجري فيه. وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء. وذلك أنَّك لو قلت: الحَجُّ، ثم مددْتَ صوتك لم يَجرِ ذلك.

* ومنها (الرِّخْوَةُ) وهي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء والثاء، والذال، والفاء. وذلك إذا قلت: الطَّسُّ، وانْقَضَّ، وأشباه ذلك أجريتَ فيه الصوت إن شئت.

وأمَّا العين فبينَ الرِّخْوَة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشَبَهها بالحاء.

* ومنها (المُنْحَرِف)، وهو حرفٌ شديد جَرى فيه الصَّوت لانحراف اللسان مع الصّوت، ولم يعترض على الصّوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصَّوت. وليس كالرّخوة؛ لأن طَرف اللسان لا يتجافَى عن موضعه. وليس يخرج الصّوت من موضع اللام ولكن من ناحِيَتَيْ مُسْتَدَقِّ اللسان فُوَيْقَ ذلك.

* ومنها (حرفٌ شديد) يجرى معه الصّوت لأنّ ذلك الصوت غُنّةٌ من الأنف، فإنما تُخرجه من أنفك واللسانُ لازم لمَوْضع الحرف، لأنّك لو أمسكت بأنفك لم يجرِ معه الصّوت. وهو النون، وكذلك الميم.

* ومنها (المكرّرُ) وهو حرفٌ شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجَافَى للصّوت كالرِّخوة، ولو لم يكرَّر لم يجر الصوت فيه. وهو الراء.

* ومنها (اللَّيِّنَةُ)، وهى الواو والياء، لأنَّ مُخْرَجهما يَتّسع لهواء الصّوت أشدّ من اتِّساع غيرهما كقولك: وأيٌ، والواو. وإن شئت أجريت الصوت ومددت.

* ومنها (الهاوي) وهو حرفٌ اتّسع لهواءِ الصوتِ مُخْرَجُه أَشَدُّ من اتساع مُخْرَج الياء والواو، لأنّك قد تَضم شَفَتَيْك في الواو وترفع في الياء لسانك قِبَل الحَنَك، وهي الألف.

* وهذه الثلاثةُ أَخْفَى الحروف لاتّساع مُخْرجها. وأَخفاهنّ وأوسعهنّ مُخْرَجًا: الألفُ، ثم الياء، ثم الواو.

* ومنها (المُطْبَقَةُ، والمُنْفَتِحة). فأما المُطْبَقة فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء.

والمُنْفَتِحة: كلُّ ما سِوَى ذلك من الحروف؛ لأنّك لا تُطْبِقُ لشيءٍ منهنّ لسانَك، تَرْفعه إلى الحَنَك الأعلى.

وهذه الحروفُ الأربعةُ إذا وضعت لسانَك في مواضعهنّ انطبق لسانُك من مواضعهنّ إلى ما حاذَى الحَنَك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحَنَك، فإذا وضعتَ لسانك فالصوت مَحصورٌ فيما بين اللسان والحَنَك إلى موضع الحروف.

وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما يَنحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهنّ.

فهذه الأربعةُ لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّن ذلك بحَصْرِ الصَّوت. ولولا الإِطباق لصارت الطاءُ دالا، والصادُ سِينًا، والظاءُ ذالا، ولخرجتِ الضادُ من الكلام، لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرُهَا.

وإنما وصفت لك حروفَ المُعْجَم بهذه الصِّفات لتَعرف ما يَحْسُن فيه الإِدغام وما يجوز فيه، وما لا يَحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تُبدِله استثقالا كما تُدغِم، وما تُخفيه وهو بزنة المتحرِّك.

*** النصُّ الثالث: من كتاب سر صناعة الإعراب، لابن جني (ت ٣٩٢ هـ):**

قال ابن جني في تعريف الصوت: اعلم أن الصوت عَرَض يخرج مع النفس مستطيلًا متصلًا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفًا. وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك؛ ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك. ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جَرْسًا ما، فإن انتقلت منه راجعًا عنه، أو متجاوزًا له، ثم قطعت، أحسست عند ذلك صَدَىً غير الصدَى الأول، وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعتَ بها سمعت هناك صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جُزت إلى الجيم سمعت غير ذَيْنك الأوَّلين.

وقال في تعريف الحركة: اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدِّمو النحويين يُسمّون الفتحةَ الألفَ الصغيرة، والكسرةَ الياءَ الصغيرة، والضمةَ الواوَ الصغيرة.

ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنك متى أشبعتَ واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه، وذلك نحو فتحة عين «عَمَر» فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف، فقلت: عامَر. وكذلك كسرة عين «عِنَب» إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة، وذلك قولك: عِينَب. وكذلك ضمة عين «عُمَر» لو أشبعتها لأنشأت بعدها واوًا ساكنة، وذلك قولك: عُومَر. فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها، ولا كانت تابعة لها.

باب أسماء الحروف وأجناسها، ومخارجها، ومدارجها، وفروعها المستحسنة وفروعها المستقبحة، وذكر خلاف العلماء فيها مُسْتَقْصًى مشروحًا

اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفًا، فأولها الألف، وآخرها الياء، على المشهور من ترتيب حروف المعجم، إلا أبا العباس المبرِّد فإنه كان يعدّها ثمانية وعشرين حرفًا، ويجعل أولها الباء، ويدع الألف من أولها، ويقول: هي همزة لا تثبت على صورة واحدة، وليست لها صورة مستقرة، فلا أعتدها مع الحروف التي أشكالها محفوظة معروفة.

ذكر الحروف على مراتبها في الاطراد

وهي: الهمزة، والألف، والهاء. والعين، والحاء، والغين، والخاء. والقاف. والكاف. والجيم، والشين، والياء. والضاد. واللام. والراء. والنون. والطاء، والدال، والتاء. والصاد، والزاي، والسين. والظاء، والذال، والثاء. والفاء. والباء، والميم، والواو.

فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعُّدها، وهو الصحيح، فأمر ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفًا مما رتبه سيبويه، وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته.

واعلم أن هذه الحروف التسعة والعشرين قد تلحقها ستة أحرف تتفرع عنها، حتى تكون خمسة وثلاثين حرفًا. وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام، وهي: النون الخفيفة، ويقال الخفية، والهمزة المخففة وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي.

وقد تلحق بعد ذلك ثمانية أحرف، وهي فروع غير مستحسنة، ولا يؤخذ بها في القرآن ولا في الشعر، ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة

غير متقبلة، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالميم، ولا يصح أمر هذه الحروف الأربعة عشر اللاحقة للتسعة والعشرين، حتى كمّلتْها ثلاثة وأربعين، إلا بالسمع والمشافهة.

واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر: ثلاثة منها في الحلق:

فأولها من أسفله وأقصاه مخرجُ الهمزة والألف والهاء، هكذا يقول سيبويه. وزعم أبو الحسن الأخفش أن ترتيبها: الهمزة، وذهب إلى أن الهاء مع الألف، لا قبلها ولا بعدها. والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنك متى حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل؛ فقلبتها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء، وهذا واضح غير خفي.

- ومن وسط الحلْق مخرج العين والحاء.

- ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء.

- ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف.

- ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدّم الفم مخرج الكاف.

- ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج الجيم والشين والياء.

- ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر.

- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين

ما يليها من الحنَك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرُّباعيَّة والثَّنيّة، مخرج اللام.

- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فُويق الثنايا مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلًا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.
- ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين.
- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء.
- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلْيا مخرج الفاء.
- ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.
- ومن الخياشيم مخرج النون الخفية، ويقال الخفيفة، أي الساكنة.

فذلك ستة عشر مخرجًا.

ويدلك على أن النون الساكنة إنما هي من الأنف والخياشيم، أنك لو أمسكت بأنفك، ثم نطقت بها، لوجدتها مختلة. وأما النون المتحركة فمن حروف الفم كما قدمنا، إلا أن فيها بعض الغنة من الأنف.

*** النصُّ الرابع: رسالة في أسباب حدوث الحروف لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ):**

الحمد لله حمدًا يستأهله بعظمة ذاته، وسَعة رحمته، وفضل جوده وصلاته على نبيه محمد وآله.

وبعد... فليس كلُّ قابل هدية محتاجًا إليها، ولا كلُّ طالب تحفة فاقدًا لها. بل ربما آثر الغنيُّ في ذلك إكرام الفقير، وتوخّى الكبير به البسطَ من

الصغير. والشيخ الكريم الأستاذ أبو منصور محمد بن علي بن عمر الخيّام أدام الله فضله – وهو الذي ما شئت فله في نفسه من المحامد الباهرة، وعندي وفي ذمتي من الأيادي المتظاهرة – التمس مني التماسَ مُباسط لا محتاج أن أكتب باسمه ما حصل عندي بعد البحث المستقصى من أسباب حدوث الحروف باختلافها في المسموع، في رسالة وجيزة جدًا، فتلقيت ملتمسه بالطاعة، وسألت الله تعالى أن يوفقني للصواب ألزمه، والحق أتبعه، وهو ولى الرحمة.

وقد قسَّمتُ الكتاب فصولا ستة هي هذه:

الفصل الأول: في سبب حدوث الصوت.

الفصل الثاني: في سبب حدوث الحروف.

الفصل الثالث: في تشريح الحنجرة واللسان.

الفصل الرابع: في الأسباب الجزئية لحرفٍ حرفٍ من حروف العرب.

الفصل الخامس: في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب.

الفصل السادس: في أن هذه الحروف من أي الحركات غير النطقية قد تسمع.

الفصل الأول

في سبب حدوث الصوت

أظنُّ أن الصوت سببه القريب تموُّج الهواء دفعة وبقوة وبسرعة من أي سبب كان.

والذي يُشترط فيه من أمر القَرْع عساه ألَّا يكون سببًا كليًّا للصوت، بل

كأنه سبب أكثري. ثم إن كان سببًا كليًّا فهو سبب بعيد ليس السبب الملاصق لوجود الصوت.

والدليل على أن القَرْع ليس سببًا كليًّا للصوت أن الصوت قد يحدث أيضًا عن مقابل القرْع وهو القلْع، وذلك أن القرْع هو «تقريب جَرْم ما إلى جرم مقاوم لمزاحمته تقريبًا تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها». ومقابل هذا: «تبعيدُ جرم ما عن جَرْم آخر مماسٍّ له منطبق أحدهما على الآخر تبعيدًا ينقلع عن مماسّته انقلاعا عنيفا لسرعة حركة التبعيد»، وهذا يتبعه صوت من غير أن يكون هناك قرع.

لكن يلزم في الأمرين شيء واحد وهو تموُّج سريع عنيف في الهواء، أما في القرع فلاضطرار القارع الهواء إلى أن ينضغط وينفلت من المسافة التي يسلكها القارع إلى جنبتها بعنف وشدة سرعة، وأما في القلْع فلاضطرار القالع الهواء إلى أن يندفع إلى المكان الذي أخلاه المقلوع منها دفعة بعنف وشدَّة.

وفي الأمرين جميعًا يلزم المتباعد من الهواء أن ينقاد للشكل والموج الواقع هناك، وأن كان القرعيّ أشد انبساطا من القلعيّ.

ثم ذلك الموج يتأدّى إلى الهواء الراكد في الصِّماخ فيموجه فتحس به العصبة المفروشة في سطحه.

فإذن العلة القريبة – كما أظن – هو التموّج.

وللتموُّج علَّتان: قرع وقلع.

وإن ذهب ذاهب إلى أن القلع يُحدث في الهواء قرعا وراءه، وهو سبب للصوت، فليس ضعف هذا القول مما يحتاج إلى أن نتكلف لإبانته.

الفصل الثاني

في سبب حدوث الحروف

أما نفَس التموُّج فإنه يفعل الصوت.

وأما حال التموج في نفَسه من جهة اتصال أجزائه وتماسّها أو بسطها ونحتها فيفعل الحدَّة والثقل: أما الحدّة فيفعلها الأولان، وأما الثقل فيفعله الثانيان.

وأما حال التموُّج من جهة الهيئات التي تستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه فتفعل الحروف.

***

والحرف: «هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميزًا في المسموع».

والحروف بعضها في الحقيقة مفردة وحدوثها عن حبسات تامَّة للصوت – أو للهواء الفاعل للصوت – تتبعها إطلاقات دفعة. وبعضها مركَّبة وحدوثها عن حبسات غير تامة لكن تتبعها إطلاقات.

والحروف المفردة هي: الباء، والتاء، والجيم، والدال، والضاد، والطاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون. ثم سائر ذلك مركب يحدث عن حبسات وإطلاقات. ولك أن تعدَّها عدًّا.

وهذه المفردة تشترك في أن وجودها وحدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس وزمان الإطلاق؛ وذلك أن زمان الحبس التام لا يمكن أن يحسّ فيه بصوت حادث عن الهواء وهو مستكنٌّ بالحبس، وزمان الإطلاق لا يحسّ فيه بشيء من هذه الحروف؛ لأنها لا تمتد البتة إنما هي مع إزالة

الحبس فقط. وأما الحروف الأخرى فإنها تمتد زمانًا ما وتفنى مع زمان الإطلاق التام، وإنما تمتد في الزمان الذي لا يجتمع فيه الحبس مع الإطلاق.

وبعد اشتراك كل واحدة من الصنفين في العلة العامة قد تختلف بسبب اختلاف الأجرام التي يقع عندها وبها الحبس والإطلاق؛ فإنها ربما كانت ألين، وربما كانت أصلب، وربما كانت أيبس، وربما كانت أرطب، وربما كان الحبس في نفَس رطوبة تتفقع ثم تتفقأ إما مع انفصال وامتداد، وإما في مكانها. وقد يكون الحابس أعظم، وأصغر. والمحبوس أيضًا أكثر، وأقل. والمخرج أضيق، وأوسع. ومستدير الشكل، ومستعرض الشكل مع دقة. والحبس أشد، وألين، والضغط بعد الإطلاق أحفز، وأسلس.

وسيأتي منا البيان لواحد واحد من هذه الأقسام بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

في تشريح الحنجرة واللسان

أما الحنجرة فإنها مركَّبة من غضاريف ثلاثة:

أحدها – موضوع إلى قدّام يناله الجسّ في المهازيل عند أعلى العنق تحت الذقن. وشكله شكل القصعة، حدبتها إلى خارج وإلى قدام، وتقعيره إلى الداخل وإلى الخلف، ويسمى «الغضروف الدرَقي» أو«التُّرسي».

والغضروف الثاني- خلفه مقابل سطحه، وسطحه متصل به بالرباطات يمنة ويسرة، منفصل عنه إلى فوق، ويسمَّى (عديم الاسم).

والغضروف الثالث – كقصعة مكبوبة عليها، وهو منفصل عن الدرَقي

ومربوط بالذي لا اسم له من خلف بمفصل مضاعف يحدث من زائدتين وتصعدان من الذي لا اسم له وتستقران في نقرتين له ويسمى «المكبَّي» و«الطرْ جهالي».

فإذا تقارب الذي لا اسم له من الدرَقي وضامَّه حدث منه ضيق الحنجرة.

وإذا تنحَّى عنه وباعده حدث منه اتساع الحنجرة.

ومن تقاربه وتباعده يحدث الصوت الحادّ والثقيل.

وإذا انطبق الطرْجهالي على الدرَقي حصر النفَس وسد الفوهة، وإذا انقلع عنه انفتحت الحنجرة.

فتكون إذن ها هنا عضلات تلصق الطرجهالي بالدرقي وتجذبه إليه، وعضلات تبعده عنه وتجذبه إلى خلف، وعضلات تلصق الذي لا اسم له بالدرقي، وعضلات تُنحِّي أحدهما عن الآخر.

والطرجهالي مركب على الذي لا اسم له بمفصل مضاعف، لأن فيه نقرتين تصعد إليهما زائدتان من الذي لا اسم له وتستقران فيهما.

والعضلات التي تفتح الحنجرة بتنحية الطَّرْجهالي عن الدرقي لابد من أن تكون طالعة من أسفل ومن جنبة الذي لا اسم له، وتتصل بمؤخر الطَّرْجهالي ، فإذا تشنَّجت جذبته إلى خلف وفرَّقت بينه وبين الدرقي. وقد خلقت لذلك أربع عضلات على هذه الصفة وأردفت بعضلتين تتصلان لا عند الخلف من الطَّرْجهالي بل يمنة ويسرة، فإذا تشنَّجتا فعلتا – مع المعونة في الفتح – توسُّعًا مستعرضًا. فهذه ست عضلات.

والعضلات التي تطبق يجب أن تكون لا محالة واصلة بين التُّرسي

والطَّرْجهالي ، حتى إذا تشنجت مدت الطَّرجهاليّ إلى التُّرسي. ومعلوم أنها إذا كانت من داخل كان إطباقها أشد وأحكم، وقد خلقت لذلك. فمنها زوج عضلة توضع في جميع الناس أحد فرديها تصعد منه حافة الدرقي إلى حافة الطَّرْجهالي يمنة والآخر مثله يسرة، وهما صغيرتان تفعلان – بالعصر وبموافقة المكان – فعلًا عظيمًا، حتى أنه يقاوم عضل الصدر والحجاب عند حصر النفَس. وقد يوجد في بعض الناس زوج آخر شبيه به معين له.

وأما المضيِّقة للحنجرة فمن المعلوم أن الضامَّ الجامع أحسن أحواله أن يكون محيطًا بالمتضامين جميعًا حتى إذا انقبض ضمَّ. وكذلك خلقت عضلات الضمِّ. فمن ذلك زوج يأتي من العظم اللامي – الشبيه باللام في كتابة اليونانيين – وهو عظم مثلث الشكل الذي بسطوحه، فيتصل بالدرقي عرضا، ويمضى كل واحد من فرديه حتى يجاوز المري يمنة ويسرة ويلاقي الآخر ويتصل به. وأربع عضلات ربما فرقت وربما جمعت في زوجين مضاعفين أو زوجين أحدهما باطن والآخر ظاهر، وكيف كان فإنها تتصل بالدرقي ثم تلتف وراءه على الذي لا اسم له.

وأما الموسِّعة للحنجرة فمن المعلوم أن تكثيرها بالعدد غنيٌّ، لأن عضل الصدر والحجاب يحفز النفس إلى خارج بقوة فيكون ذلك لو اقتصر عليه كافيًا في فتح الحنجرة. فمن عضل الفتح زوج عضلة يأتي من العظم الشبيه باللام ويتصل بمقدم الدرقي كله، فإذا تشنَّج جذب الحلقوم إلى أسفل والذي لا اسم له إلى خلف ففرق بينه وبين الدرقي، وربما عضد في الفرد من الناس زوج آخر شبيه به، وهو نادر ويوجد في عظيمي الحناجر من الناس، وأما في الدواب فدائمًا.

وأما اللسان فتحرِّكه بالتحقيق ثماني عضلات: منها عضلتان تأتيان من الزوائد السهمية التي عند الأذن يمنة ويسرة، وتتصلان بجانبي اللسان فإذا

تشنَّجتا عرَّضتاه. ومنها عضلتان تأتيان من أعالي العظم الشبيه باللام وتنفذان وسط اللسان، فإذا تشنَّجتا جذبتا جملة اللسان إلى قُدَّام فتبعها جزء من اللسان وامتد وطال. ومنها عضلتان من العضلين السافلين من أضلاع هذا العظم ينفذان بين المعرَّضين والمطوَّلين ويحدث عنهما توريب اللسان. ومنها عضلتان موضوعتان تحت هاتين، وإذا تشنّجتا بطحتا اللسان.

وأما تمييلة إلى فوق وداخلا فمن فعل المعترضة والموربة.

الفصل الرابع

في الأسباب الجزئية لحرف حرف من حروف العرب

أما **الهمزة** فإنها تحدث من حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرجهالي الحاضر زمانًا قليلًا لحصر الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معًا.

أما **الهاء** فإنها تحدث عن مثل ذلك الحفز في الكم والكيف إلا أن الحبس لا يكون حبسًا تامًّا بل تفعله حافات المخرج وتكون السبيل مفتوحة والاندفاع يماسُّ حافاته بالسواء غير مائل إلى الأوسط.

وأما **العين** فيفعلها حفز الهواء مع فتح الطرجهالي مطلقًا وفتح الذي لا اسم له متوسطا وإرسال الهواء إلى فوق ليتردد في وسط رطوبة يتدحرج فيها من غير أن يكون هذا الحفز خاصًا بجانب.

والحاء مثلها، إلا أن فتح الذي لا اسم له أضيق والهواء ليس يحفز على الاستقامة حفزًا بل يميل إلى خارج حتى يقسر الرطوبة ويهزها إلى قدام فتحدث من انزعاج أجزائها إلى قدَّام هيئة الحاء.

وأما **الخاء** فإنها تحدث من ضغط الهواء إلى الحد المشترك بين اللهاة والحنك ضغطا قويًّا مع إطلاق يهتز فيما بين ذلك رطوبات يعنف عليها التحريك إلى قدام فكلما كادت أن تحبس الهواء زوحمت وقسرت إلى خارج في ذلك الموضع بقوة.

والقاف تحدث حيث تحدث الخاء ولكن بحبس تام، وأما الهواء فمقداره ومواضعه فذلك بعينه.

وأما **الغين** فهو أخرج من ذلك يسيرًا، وليست تجد من الرطوبة ولا من قوة انحصار الهواء ما تجده الخاء، والحركة فيه إلى قرار الرطوبة أميل منها إلى دفعها إلى خارج، لأن الحركة فيها أضعف وهو أنها تحدث في الرطوبة الحنكية كالغليان والاهتزاز.

وأما **الكاف** فإنها تحدث حيث يحدث الغين وبمثل سببه، إلا أن حبسه حبس تام، ونسبة الكاف إلى الغين هي نسبة القاف إلى الخاء.

وأما **الكاف** التي تستعملها العرب في عصرنا هذا بدل القاف فهي تحدث حيث تحدث الكاف إلا أنها أدخل قليلًا والحبس أضعف.

وأما **الجيم** فيحدث من حبس بطرف اللسان تام وبتقريب الجزء المقدَّم من اللسان من سطح الحنك المختلف الأجزاء في النتوء والانخفاض مع سعة في ذات اليمين واليسار وإعداد رطوبة حتى إذا أطلق نفذ الهواء في ذلك المضيق نفوذًا يصغر لضيق المسلك إلا أنه يتشذَّب لاستعراضه ويتمم صفيره خلل الأسنان، وتنقص من صفيره وترده إلى الفرقعة الرطوبة المندفعة فيما بين ذلك متفقعة ثم تتفقأ، إلا أنها لا يمتد بها التفقع إلى بعيد ولا تتسع بل تفوقها في المكان الذي يطلق فيه الحبس.

وأما **الشين** فهي حادثة حيث يحدث الجيم بعينه ولكن بلا حبس البتة،

فكأن الشين جيمٌ لم يحبس وكأن الجيم شين ابتدأت بحبس ثم أُطلقت.

وأما **الضاد** فإنها تحدث عن حبس تام عندما تتقدم موضع الجيم وتقع في الجزء الأملس إذا أطلق أقيم في مسلك الهواء رطوبة و حدَّة أو رطوبات تتفقع من الهواء الفاعل للصوت ويمتد عليها منحبسًا حبسًا ثانيًا ويتفقَّأ فيحدث شكل الضاد.

وأما **الصاد** فيفعله حبس غير تام أضيق من حبس السين وأيبس، وأكثر أجزاء حابس طولا إلى داخل مخرج السين وإلى خارجه حتى يطبق اللسان أو يكاد يطبق على ثلثى السطح المفروش تحت الحنك والمنخر، ويتسرب الهواء عن ذلك المضيق بعد حصر شيء فيه من وراء ويخرج من خلل.

وأما **السين** فتحدث عن مثل حدوث الصاد إلا أن الحابس من اللسان فيه أقل طولا وعرضا فكأنها تحبس العضلات التي في طرف اللسان لا بكلِّيتها بل بأطرافها.

وأما **الزاي** فإنها تحدث من الأسباب المصفِّرة التي ذكرناها، إلا أن الجزء الحابس فيها من اللسان يكون ما يلي وسطه ويكون طرف اللسان غير ساكن سكونه الذي كان في السين بل ممكن من الاهتزاز، فإذا انفلت الهواء الصافر عن المحبس اهتز له طرف اللسان واهتزت رطوبات تكون عليه وعنده ونقص من الصفير إلا أنه باهتزازه يحدث في الهواء الصافر المنفلت شبيه التدحرج في منافذه الضيقة بين خلل الأسنان فيكاد أن يكون فيه شبيه التكرير الذي يعرض للراء، وسبب ذلك التكرير اهتزاز جزء من سطح طرف اللسان خفي الاهتزاز.

وأما **الطاء** فهي من الحروف الحادثة عن القلْع – دون القرْع أو مع القرع – وإنما تحدث عن انطباق سطح اللسان أكثر من سطح الحنَك

والمنخر وقد يبرأ شيء منهما عن صاحبه وبينهما رطوبة فإذا انقلع عنه وانضغط الهواء الكثير سُمع الطاء.

وإن كان الحبس بجزء أقلّ ولكن مثله في الشدَّة سمع التاء.

وإن كان الحبْس مثل حبس التاء في الكم وأضعف منه في الكيف سُمع الدال.

وإن لم يكن حيث التاء حبس تام ولكن إطلاق يسير يصفر معه الهواء غير قوي الصفير كصفير السين؛ لأن طرف اللسان يكون أرفع وأحبس للهواء من أن يستمر في خلل الأسنان جيدًا وكأنه ما بين تماس أطراف الأسنان سُمع الثاء.

وإن كان حبسٌ كالإشمام بجزء صغير من طرف اللسان وإجراء الهواء المطلق بعد الحبس على سائر سطح اللسان على رطوبته وحفز له جملة سُمع الظاء.

وإن كان الحبس بالطرف أشد، ولكن لم يستعن بسائر سطح اللسان ولكن ينقل الهواء عن الحبس بما يلي طرف اللسان من الرطوبة حتى يحرِّكها ويهزها هزًّا يسيرًا وينفذ فيها وفي أعالي خلل الأسنان قبل الإطلاق ثم يطلق كان منه الدال.

والذال يقصر به عن الزاي ما يقصر الثاء عن السين، وهو أنه لا يمكن هواؤه حتى يستمر جيدًا في خلل الأسنان بل يسدّ مجراه من تحت ويمكن من شمِّه من أعاليه، ولكن يكون في الذال قريبًا من الاهتزاز الذي في الزاي.

وإن كان حبس بطرف اللسان رطب جدًّا ثم قلع، والحبس معتدل غير

شديد، وليس الاعتماد فيه على الطرَف من اللسان بل على ما يليه – لئلا يكون مانعًا من التزاق الرطوبة ثم انقلابها – حدث اللام.

وإن كان الحبس أيبس وليس قويًّا ولا واحدًا بل يتكرر الحبس في أزمنة غير مضبوطة كان منه الترعيدات والإيقاعات، وذلك لشدة اهتزاز حبس سطح اللسان حتى يُحدث حبسًا بعد حبس غير محسوس حدث الواو.

وأما إذا كان حبس الهواء بآخر الثنية من الشفة وتسربه في آخر الثنية من غير حبس تام حدث الفاء.

وإن كان في ذلك الموضع بعينه مع حبس تام الإطلاق في تلك الجهة بعينها حدث الباء. ونسبة الباء إلى الفاء عند الشفة نسبة الهمزة إلى الهاء عند الحنجرة.

وأما إذا كان حبس تام غير قوي وليس الحبس كله عند المخرج من الشفتين ولكن بعضه إلى ما هناك وبعضه إلى ناحية الخيشوم – حتى يُحدث الهواء عند اجتيازه الخيشوم والفضاء الذي في داخله دويًّا – حدث الميم.

وإن كان بدل الشفتين طرف اللسان وعضو آخر حتى يكون عضو رطب أرطب من الشفة يقاوم الهواء بالحبس ثم يتسرب أكثره إلى ناحية الخيشوم كان النون.

وأما الواو الصامتة فإنها تحدث حيث تحدث الفاء، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يمانعه في انضغاطه بسطح الشفة.

والياء الصامتة فإنها تحدث حيث يحدث السين والزاي، ولكن بضغط وحفظ للهواء ضعيف لا يبلغ أن يحدث صفيرًا.

وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء سلسًا غير مزاحم.

والواو المصوتة وأختها الضمة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق.

والياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجها من إطلاق الهواء من أدنى تضييق المخرج وميل به سلس إلى أسفل.

ثم أمر هذه الثلاثة علىّ مشكل، ولكني أعلم يقينًا أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة، وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف.

وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة والياء المصوتة إلى الكسرة.

الفصل الخامس

في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب

وها هنا حروف غير هذه الحروف تحدث بين حرفين مما تجانس كلُّ واحد منهما بشركة في سببه.

فمن ذلك الكاف الخفيفة التي ذكرناها، وحروف تشبه الجيم وهي أربعة:

منها الحرف الذي ينطق به في أول «البئر» بالفارسية وهو «چاره». وهذه الجيم يفعلها إطباق من حروف اللسان أكثر وأشد وضغط للهواء عند القلْع أقوى. ونسبة الجيم العربية إلى هذه الجيم نسبة الكاف غير العربية إلى الكاف العربية.

ومنها حروف ثلاثة لا توجد في العربية والفارسية، ولكن توجد في لغات أخرى، وكلها يتبين فيها ما في الجيم من استعمال رطوبة بفعل

حبسها، وهي الرطوبة المعدَّة وراء الحبس، وتكون علتها اعتماد الهواء عند الإطلاق، فإذا سُلبت هذه الرطوبة واعتُمِد الجزء الذي وقع عليه الحبس حدث هناك همس

وتارة تضرب إلى شبه الزاي

وتارة تضرب إلى شبه السين

وتارة تضرب إلى شبه الصاد

أما الصاد والسين – فبأن يتسرب الهواء في خلل الأسنان من غير تعريضه لاهتزاز رطوبة قدَّامه.

وأما الزاي – فبعد تعريضه لذلك وترك إلجائه إلى أضيق المخارج ثم تفترق الصادية من السينية بالإطباق.

ومن ذلك سين صاديَّة تحدث عند استعمال جزء أكبر وأعرض وأبطن من اللسان.

ومن ذلك سين زائية تكثر في لغة أهل خُوَارزْم، وتحدث بأن تتهيأ الهيئة التي عن مثلها تحدث السين، ثم يحدث في العضلة الباطحة للسان ارتعاد كما يحدث في الزاي، يلزم ذلك الارتعاد مماسَّات خفية غير محسوسة يحتبس لها الهواء احتباسات غير محسوسة فتضرب السين بذلك إلى مشابهة الزاي.

ومن ذلك زاي سينية شبيهة في اللغة الفارسية عند قولهم «ژرد» وهي سين لا تقوى، ولكنها تعرض باهتزاز سطح طرف اللسان والاستعانة بخلل الأسنان.

ومن ذلك راء غينية نسبتها إلى الراء نسبة هذه السين الخوارزمية إلى الزاي والسين، وتحدث بأن يتغرغر بالهواء التغرغر الفاعل للغين، ثم يرعد

طرف اللسان أو يحدث في صِفاق المِنخَر الداخل ذلك الارتعاد فتحدث راء غينية.

وأيضًا راء لامية تحدث بأن لا يُقتصر على ترعيد طرف اللسان بل تُرخِي العضلات المتوسطة للسان وتُشنِّج طرفيه حتى يحدث بعد طرف اللسان تقبيب، ويعتمد بإرسال الهواء في ذلك التقبيب والرطوبة التي يكون فيه ويرعد طرف اللسان.

وزاي ظائية يكون وسط اللسان فيها أرفع والاهتزاز في طرف اللسان خفي جدًّا وكأنه من الرطوبة فقط.

وها هنا لام مطبقة نسبتها إلى اللام المعروفة نسبة الطاء إلى التاء، وتكثر في لغة الترك وربما استعملها المتفيهق من العرب.

وها هنا فاء تكاد تشبه الباء وتقع في لغة الفرس عند قولهم «ڤـرندي» تفارق الباء لأنه ليس فيها حبس تام. وتفارق الفاء بأن تضييق مخرج الصوت من الشَّفَة فيها أكثر وضغط الهواء أشد حتى يكاد أن يحدث بسببه في السطح الذي في باطن الشفة اهتزاز.

ومن ذلك الـپـاء المشدَّدة الواقعة في لغة الفرس عند قولهم «پـيروزي» وتحدث بشدٍّ قوى للشفتين عند الحبس، وقلْعٍ بعنف وضغط الهواء بعنف.

والميم والنون قد يكون منهما ما يقتصر على الدويِّ الحادث من الهواء في تجويف آخر المنخر ولا يردف حبسه عند الإطلاق تحفز الهواء إلى خارج، وهذا كِفَّته مجرَّدة.

الفصل السادس

في أن هذه الحروف من أي الحركات غير النُّطقية قد تُسمع

وأنت تسمع **العين** من كل إخراج هواء بعنف من مخراج رطب.

والحاء عن أضيق منه وأعرض.

والخاء عن حكِّ كل جسم لين حكًّا كالقشر بجسم صلب.

والهاء عن تصعد الهواء بقوة في جسم غير ممانع كالهواء نفسه.

والقاف عن شقِّ الأجسام وقلعها.

والغين عن غليان الرطوبة في أجزاء كبار تندفع إلى جهة واحدة.

والكاف عن قرْع كل جسم صلب كبير على بسيط آخر صلب مثله. والجيم عن وقع الرطوبات في الرطوبات مثل قطرة من الماء لها مقدار تقع بقوة على ماء واقف فتغوص فيه.

والشين عن نشيش الرطوبات، وعن نفوذ الرطوبات في خلل أجسام يابسة نفوذًا بقوة.

والضاد عن انفلاق فقاقيع كبار من الرطوبات.

والصاد عن السبب الذي نذكره للسين إذا وقع في جرم ذي دوي أو كان معه قرع بشيء له تقعير يسير.

والسين عن سن جرم يابس جسما يابسًا ويحرَّك عليه حتى يتسرب ما بينهما هواء عن منافذ ضيقة جدًّا. ويسمع أيضًا عن نفوذ الهواء بقوة في مثل أسنان المشط.

والزاي عن مثل ذلك إذا أُقيم في وجه الممرِّ جسم رقيق ليِّن كجلدة تهتز على نفسها.

والطاء تحدث عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان، بل يحصر هنالك هواء له دويّ. ويُسمع عن القلْع أيضًا مثله.

والتاء عن قرع الكف بأصبع قرعًا بقوة.

والدال عن أضعف منه.

والذال يحدُث عن مثل الزاي إذا كان المهتزُّ أعظم وأغلظ وأشد يتخلل منفذ الهواء.

والثاء عن مثل السِّين إذا لم يكن مهتزًّا ولكن الشدَّ أشد. ونسبة الذال إلى الزاي كنسبة الثاء إلى السين.

والراء عن تدحرج كرة على لوح من حيث من شأنه أن يهتز اهتزازًا غير مضبوط بالحبس.

واللام عن صَفْق اليد على رطوبة أو وقوع شيء فيها دفعة حتى يُضطر الهواء إلى أن ينضغط معه، ثم ينصرف وتتبعه رطوبة.

والفاء عن حفيف الأشجار.

والباء عن قلْع الأجسام الليِّنة المتلاصقة بعضها عن بعض.

***

وأظنُّ أنِّي قد بلغْتُ الكفاية، وعبَّرْتُ عن المقدار الذي تبلغه مني المعرفة، تقرُّبًا إلى الشيخ الكريم الأستاذ – جعلني الله فداه –، وها هنا أختم الرسالة متوكِّلًا على الله، ونِعم الوكيل، والحمد لله حقَّ حمده.

تمَّتْ الرسالة